نحو تصور مقترح لإيجاد بديل عن تصنيف بلوم مستمد من الحضارة العربية والإسلامية. يستهدف هذا الفصل عرضا مقترحا لتصنيف جديد فى مجال المناهج مستمد من ثقافاتنا العربية والإسلامية بدلا من تصنيف بلوم السائد فى مناهجنا الدراسية.

ولتحقيق هذا الهدف تم عرض الأبعاد التالية :

أولا : دواعى هذا التصور.

ثانيا : عرض بعض النماذج المتعارف عليها فى مجال المناهج الدراسية.

ثالثا : الخلفية التاريخية التى كانت وراء هذه النماذج.

رابعا : طرح التصور الجديد ، وهو - بطبيعة الحال - قابل للمناقشة.

وفيما يلى عرض لهذه الأبعاد :

أولا : دواعى هذا التصور :

انطلق هذا التصور من الدواعى الآتية :

أ – أن هناك إجماعا على هيمنة بعض النماذج الغربية فى ميدان المناهج منذ خمسينيات القرن الماضى ، كما أن هناك شبه إجماع على رفض هذه النماذج . وتجلى ذلك بصورة واضحة فى الندوة المشتركة بين مركز تطوير تدريس اللغة الإنجليزية ، ومركز تطوير التعليم الجامعى فى حلقة مناقشة الإبداع عن " بلوم وطرق تدريس اللغة الإنجليزية " بكلية التربية جامعة عين شمس فى الفترة من : ١١ -١٢/١٠/١٩٩٥م حيث ركز الحاضرون على ضرورة إيجاد بديل لتصنيف بلوم، كما تجلى أيضا فى مؤتمر " إشكالية التحيز " الذى عقد بالقاهرة فى عام ١٩٩٢م، وبالتعاون بين المعهد العالمى للفكر الإسلامى ونقابة المهندسين والذى عالج الموضوع من خلال الإطار الثقافى ، وفى هذا الإطار برزت النقاط التالية :

١ - أن النماذج الغربية أثبتت نفسها فى المجالات السياسية والاقتصادية ، غير أن لها جوانبها السلبية فى مجالات أخرى ، ولأن تلك النماذج مقطوعة الصلة بواقع شعوب

العالم غير الغربى فإنها تظل عاجزة عن التفاعل مع هذا الواقع ، أو على الإسهام فى تفسيره ، أو تغييره ، بل يؤدى أحيانا إلى تدميره.

٢ - أن هناك تفرقة ضرورية بين استثمار المنجزات والمكتشفات الغربية فى المجال العلمى المادى البحت ذات الصفة العالمية ، وتوظيفها فى البناء النظرى الذى يخصنا - وهو مسلك مشروع ومحدد - وبين تبنى القيم والرؤى الغربية فى المجالات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وهو المنهج الذى يحول اللحاق بالغرب إلى الالتحاق به والتبعية له ، وهى عملية لا تقبلها كثير من الشعوب مهما اختلفت خلفياتها الثقافية لأن ذلك يمس كيان هذه الشعوب ، وجوهرها.

٣ - أن هناك قاسما مشتركا بين عدد من الباحثين ذوى الشخصيات المختلفة ، فى الدعوة إلى الاستقلال الوطنى والحضارى ، والرفض للتبعية ، بعد أن ثبت التحيز للأنماط والقيم الغربية فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية ، وتنوسيت الأنماط العربية التى ربما لم تتضح معالمها. وقد تقبل هذه الأنماط فى مرحلة الاستعمار أو ما بعد الاستقلال ، أما وقد تم الاستقلال السياسى والعسكرى ، فالأولى والأحرى أن يتم الاستقلال التربوى.

ب - أن هناك اتجاها متناميا ظهر فى المؤسسات الأكاديمية الغربية اليوم ، يربط بين المعرفة والقيم الدينية . ففى الولايات المتحدة وحدها أكثر من ٥٠ مليون أمريكى ، يعتمدون فى تعليم أبنائهم على فلسفة تستند إلى أسس دينية ، مثل تبنى خلق الإنسان وهناك ٣٣٠٠ مدرسة أمريكية تعتمد فى مناهجها الدراسية على فكرة خلق الإنسان ويتبنى هذا الاتجاه ١٢ جامعة فى كاليفورنيا ، بالإضافة إلى عدة جامعات فى ولاية الينوى ، وبعض الولايات الأخرى. ولسنا أقل من هؤلاء فى ربط المعرفة الإنسانية بقيمنا الإسلامية. والتمسك بالعقيدة الدينية مظهر من مظاهر تماسك الشعوب ، بل وتميزها.

جـ - أن من يتصفح آيات القرآن الكريم يجد أن لفظ الجلالة (الله) قد تكرر صراحة (بمفهوم العصر فى تحليل المحتوى) ٢٨٦٣ مرة ، أما إذا أضيف إلى تلك التكرارات الضمائر التى تعود إليه سبحانه ، وكذا لفظ الإله فإن هذه التكرارات ستتضاعف. ومعنى ذلك أن الله سبحانه ينبغى أن يكون محور حياتنا وفى كل أنشطتها ، وفى توجهاتنا ، وفى تنشئة أجيالنا. وفى هذا المسلك تأكيد لمبدأ خلافة الإنسان فى الأرض واستثارة للإنسان : إبداعا وابتكارا لتحقيق ذاته ، واستمرار عملية البناء والتعمير.

د - أن تقسيم بلوم جعل الإنسان بداية مركبة من ثلاث جوانب: عقلى ، ووجدانى ومهارى مع أن الإنسان وحدة واحدة متكاملة . والتعامل معها يتم على هذا الأساس ثم بعد ذلك تبدأ عملية التفريع والتصنيف.

د - أن شعب مصر: مسلميه وأقباطه شعب مؤمن. ويتطلب هذا الأمر أن يقدم له ما يضمن استمرار هذا الإيمان، وترسيخه، وإن كان ذلك لا يتم عن طريق المنهج المدرسى وحده، لكن النماذج المستمدة من حضارتنا يمكن أن تسهم فى بناء الشخصية المصرية. فالمفردات والمفاهيم والقيم المتضمنة فى المنهج المدرسى تكسب الإنسان بعدا ربما لا يظهر أثره فى التو واللحظة، لكنها بما تحمل من مضامين ومعايير يمكن أن توجه سلوك الإنسان وتتحكم فيما يختاره لنفسه وللآخرين على المدى البعيد. فالكلمة الموحية والعبارة التى تتعدد دلالتها الحضارية تربط المتعلم بما تحمل من دلالات، وتشده إلى ماضيه، وتحفزه لان يختار ويفكر بطريقة قومه ما أمكن.

إن تربية الإنسان المصرى تتطلب جودته من الناحية التعليمية بالدرجة الأولى ، خاصة أن انتشار الطبق اللاقط (الدش) يشير إلى عمق الاهتمام باستقبال البرامج الوافدة من خلال الأقمار الصناعية وتؤثر تلك الأطباق على مشاهدى التلفزيون المصرى ، ومتابعة برامجه، حيث أشارت إحدى البحوث إلى أن ١٩٪ من الأسر المصرية محل البحث التى تمتلك تلك الأطباق لا تشاهد التليفزيون المصرى إلا نادرا ، ١٢٪ يشاهدون أقل من ساعة يوميا ، و٢٥٪ أقل من ساعتين ، وجودة الإنسان المصرى تسهم فيها العلوم الاجتماعية التى تقدم فيها القيم الإسلامية والمعايير الاجتماعية ، ثم تسندها العلوم الطبيعية التى تقدم له مهارات العمل والإنجاز فى الوظيفة.

و - أن أول مشكلة يمكن أن تواجه من يريد وضع الأهداف التعليمية فى تصنيفات هى كثرة الفئات التى يمكن جمعها فيها. فمن الممكن وضع هذه الأهداف فى مجموعة تضم الاحتياجات الحياتية للشخص، واحتياجات المجتمع، أو من ناحية أخرى مجموعة تضم المحتوى للعلوم المتشابهة، أو فى مجموعة تضم السلوك المرغوب فيه . وكل هذه الطرق تهتم بتنمية جانب ما وتهمل جانبا آخر ، فإذا وضعنا الأهداف فى مجموعات حسب المواد مثلا فإننا بذلك نرجح كفة المهارات الأكاديمية على حساب الصفات اللازمة لنمو الفرد كإنسان، وإذا وضعنا الأهداف فى تصنيفات مثل المواطنة للديمقراطية، أو الكفاءة الاقتصادية فإننا بذلك نعطى الأهمية للمتطلبات الثقافية، ونهمل السلوك الذى ينبغى أن ننميه فى الشخصية.

ز - أنه لا يوجد تصنيف واحد يمكن أن يغطى كل الوظائف المهمة من التربية، وأحيانا نجد هذه التصنيفات مرتبطة بعضها بالبعض الآخر بطريقة لا تقدم معايير واضحة لاختيار المحتوى المناسب أو حتى الاتجاه الاجتماعى، أو للكفاءات التى تنتج وفق التصنيف المحدد. ومعنى هذا أن النماذج المطروحة فى مجال المناهج، وتعمل فى العملية التعليمية - نماذج لا تلبى مطالب التربية بالشكل المطلوب وذلك لبعدها عن مجتمعنا ، وقيمه والآداب المرعية فيه .

ثانيا – بعض النماذج التى يتم التعامل معها فى الحقل التربوى:

أ ـ نموذج هيلدا تابا : Hilda Taba

تعرف الأهداف بأنها متداخلة مع الأغراض ، ولكن إذا قارناها بالأغراض يمكن أن نقول إنها جمل وصفية ظاهرة للكفاءات والصفات المميزة والتى يريدها البعض ، وهذه الأهداف يمكن أن تشتق من احتياجات المتعلم أو احتياجات المجتمع أو من أهداف التعليم ومن مصادرها أيضا المعلم ، وهذه هى التصنيفات :

أولا: المجال الانفعالى:

التقدير	Appreciation
اتجاهات	Attitu
اعتقادات	Belie
اهتمامات	Interest
قيم	Values

ثانيا : أ ـ المجال المعرفى:

١ - المعرفة :

أ - معرفة المصطلحات . ب - معرفة حقائق معينة .

٢ – معرفة طرق التعامل مع المحددات :

أ - معرفة التقاليد أو الأعراف السائدة .

ب - معرفة الاتجاهات العامة .

جـ - معرفة التصنيفات .

د - معرفة المعايير .

هـ - معرفة الطرق .

obeikandl.com

٣ – معرفة الاتجاهات العالمية فى مجال ما :

أ – معرفة المبادئ والتعميمات .

ب – معرفة النظريات والتركيبات .

ب – الفهم – المقدرة على استخدام المواد والأفكار :

١ – **الترجمة .** Translation

٢ – **التأويل .** Interpretation

٣ – **التقدير .** Extrapolation

جـ – التطبيق :

استخدام المجردات فى مواقف خاصة ومحددة .

د – التحليل :

أ – تحليل المكونات .

ب – تحليل العلاقات .

جـ – تحليل المبادئ التنظيمية .

هـ – التركيب :

١ – وضع المكونات مع بعضها بحيث تكون كلا متكاملا .

٢ – إنتاج اتصالات أو ارتباطات .

٣ – وضع خطة أو مقترحات .

٤ – استنتاج – استنباط علاقات مجردة .

و – التقييم :

١ – التقييم بناء على شواهد داخلية .

٢ – التقييم بناء على شواهد أو معايير خارجية .

وهذا التعميم سهل إلا إنه ليس مستوفيا لكل جوانب التعليم .

نموذج بلوم :

أولا : المستويات فى المجال الانفعالى :

١ – **التلقى :** **Receiving**

أ – الإدراك الواعى : وهو الوعى أو الإدراك للشئ ككل دون تحديد لمواصفات الشئ بدقة . مثال ذلك إدراك جمال فستان أو قطعة أثاث.

obeikandl.com

ب - الرغبة فى التلقى: ويقصد بها الرغبة فى تحمل مثير ما دون محاولة تجنبه - وفى هذه الحالة يكون المتعلم لديه الرغبه فى أن يلاحظ الظاهرة ويعيرها انتباهه. مثال ذلك أن ينتبه الإنسان عندما يتكلم الآخرون إليه فى حديث أو فى التليفون أو وسط جمهور من الناس، ومثال آخر على ذلك الرغبة فى تحمل الاختلافات فى الثقافات الأخرى والديانات الأخرى والسياسات المختلفة ... الخ.

جـ - الانتباه المنضبط أو المختار: ويعنى به الانتباه إلى مثير ما، وتقسيمه إلى شكل وخلفية. والانتباه أو الإحساس هنا مازال عاما دون تقييم. ومثال ذلك الاستماع للموسيقى مع التفرقة أو التعرف على حالتها (المزاجية) ومعناها مع التعرف على الإضافات التى تضيفها على آلة للقطعة ككل.

٢ - الاستجابة :

أ - الإذعان فى الاستجابة :

ويمكن أيضا أن نقول الطاعة فى الاستجابة ، أو المطاوعة ، أو المسايرة . ومثال ذلك : الرغبة فى مسايرة التعليمات الطبية ، أو طاعة قوانين لعبة ما .

ب - الرغبة فى الاستجابة : (وهى حب الشئ والحرص عليه) :

وهنا تجدر الإشارة إلى أن رغبة الطالب فى الاستجابة يجب أن تكون طوعا واختيارية . مثال ذلك رغبة الشخص فى التعرف طواعية على الموضوعات السياسية العالمية أو الموضوعات أو الأوضاع الاقتصادية ،فيقرأ عن طواعية وعن اختيار ، أو أن يتطوع الشخص لحماية الآخرين أو أن يأخذ على عاتقه مسئولية حماية صحته.

جـ - الإحساس بالرضا عن الاستجابة :

وهنا تكون الاستجابة مصحوبة بإحساس من الرضا والمتعة . مثال ذلك الإحساس بالمتعة فى وضع قطعة موسيقية يعبر بها عن نفسه أو عن صورة رسمها ، أو الإحساس بالمتعة من قراءة حرة ، أو الإحساس بالمتعة فى التحدث مع أجناس مختلفة ، أو أنواع مختلفة من الناس.

٣ - التقييم :

أ - التقبل : Valuing

ويقصد به الاستعداد لإعادة تقييم الإنسان لموقفه . ومن مثال ذلك الرغبة المستمرة

فى تطوير القدرة على الكلام والكتابة بطلاقة ، والنمو فى الإحساس بأن كل الناس أقارب.

ب - تفضيل القيمة :

ولا يتوقف هذا المستوى على تقبل القيمة ولكن يسعى الفرد لكى يتوحد فيها - يبحث عنها ويجرى وراءها . ومثال ذلك أن يأخذ على عاتقه مسئولية جذب مجموعة من الأفراد للتحدث فى القيمة . يتحدث عمدا عن مختلف وجهات النظر المتعارضة مع قيمه وذلك ليكون رأيا فيها . ومثال ذلك أيضا الاشتراك فى التنظيم من أجل إبراز الجهود الفنية المعاصرة.

جـ - التعهد - الارتباط :

والاعتقاد فى القيمة هنا يبلغ درجة اليقين - وهنا يظهر الولاء لموقف ما ، أو لمجموعة ما ، أو لقضية ما . ومثال ذلك التكريس لأفكار ومبادئ الديمقراطية ، أو اليقين والإيمان بقوة العقل وكذلك فى طريق الاختبار والمناقشة.

٤ – التنظيم :

كلما تقبل الإنسان القيم يصبح لديه قيم كثيرة ، ويصبح من الضرورى تنظيمها فى نطاق متسق.

أ – مفهمة القيم : Conceptualization

تكون فكرة عامة عن القيم ، وهنا يظهر مستوى جديد يسمح للفرد برؤية كيف ترتبط قيمه ما بما قبلها وهنا يأتى دور التحديد والرموز.

ومثال ذلك محاولة التعرف على خواص شئ فنى يعجب به الشخص . تكوين حكم عن مسئولية المجتمع للحفاظ على المصادر الإنسانية والبشرية.

ب – تنظيم مجموعة القيم :

ومن مجموعة القيم التى استقاها الفرد يمكنه أن يخرج بفلسفة عن الحياة . وفى حالات كثيرة فإن تنظيم القيم قد يؤدى استيعابها إلى تكوين نظام قيمى جديد معقد.

مثال ذلك الشخص الذى يزن السياسات الاجتماعية الأخرى بمقياس الرفاهية للشعب كله بدلا من وزنها بميزان فائدتها لمجموعة محددة أو وضع خطة لكى تزن راحته (وقت الراحة) مع متطلبات باقى الأنشطة التى يقوم بها.

٥ – مجموعة عامة : Generalized Set

أ - وهذه تغطى الاستعداد لإعادة تقييم وتغيير السلوك فى ضوء الشواهد ، أو الحكم على المشاكل والأمور من خلال المواقف والأهداف ،وفى ضوء النتائج أكثر من الحكم عليها فى ضوء أفكار ثابتة أو أفكار عاطفية.

ب - وصف الخصائص : وهنا يخضع الفرد اتجاهاته وسلوكه وعقائده وأفكاره للثبات الداخلى . مثال ذلك أن ينمى فلسفة ثابتة فى الحياة ، أو تنمية سلوك مبنى على أسس أخلاقية تتسق مع مثل الديمقراطية.

ثانيا : المجال المعرفى :

١ - المعرفة المحددة :

أ - معرفة المصطلحات : ويمكن أن تكون معرفة لفظية أو غير لفظية . ومثال ذلك تعريف المصطلحات الفنية بإعطاء وصفها أو خواصها أو صلاتها . ومثال آخر أن يؤلف أو يعرف مجموعة كبيرة من الكلمات ومعناها العام.

ب - معرفة حقائق معينة: وهى معرفة التواريخ والأماكن والأشخاص . مثال ذلك أن يتذكر الحقائق المهمة عن ثقافات معينة، أو أن يكون لديه معلومات هشة عن الأجسام العضوية التى يدرسها فى المعمل. ومعرفة الطرق والوسائل للتعامل مع الأشياء المحدودة . مثال ذلك معرفة طرق التنظيم و الاستذكار والحكم والنقد على شئ ما.

جـ - معرفة التقاليد أو الأعراف : مثال ذلك معرفة الأعمال العظيمة التقليدية من الشعر والروايات . أن يكون الطالب على دراية بأشكال الكتابة والكلام والاستخدام الصحيح لهما. معرفة الاتجاهات وسياقها : مثال ذلك فهم تطور واستمرارية الثقافة الأمريكية وانطباعاتها فى الحياة الأمريكية .

هـ - معرفة التصنيفات : معرفة التصنيفات والتقسيمات التى تعد أساسية بالنسبة لعلم ما مثال ذلك ، معرفة منطقة معينة ، ومختلف مشاكلها ، أو معرفة سلسلة معينة من الأدب.

و - معرفة المعايير التى على ضوئها يمكن قياس معرفة المعايير ، والحقائق ، والمبادئ والأفكار التى تحكم الأشياء . مثال ذلك معرفة المعايير التى على أساسها يمكن الحكم على عمل أدبى بأنه جيد ، أو معرفة معايير تقييم الأنشطة الترويحية.

ز - معرفة الطريقة : معرفة طرق البحث ، وتقنياته ، وإجراءاته فى علم من العلوم . مثال ذلك معرفة الطرق العلمية لتقييم المفاهيم الصحية.

ح - معرفة العموميات والمجردات فى حقل من حقول العلم.

ط - معرفة المبادئ والعموميات : مثال ذلك معرفة المبادئ المهمة التى يمكن بها أن نربط خبرتنا بالظواهر البيولوجية.

ى - معرفة النظريات والتراكيب : مثال ذلك تذكر النظريات الأساسية عن ثقافة معينة أو معرفة شبه تامة بنظريات التطور.

ثالثا : القدرات والمهارات العقلية :

١ - الفهم :

(أ) الترجمة . (ب) التفسير - التأويل .

٢ - الاستنتاج أو الاستقراء .

٣ - التطبيق .

٤ - التحليل :

(أ) تحليل العناصر . (ب) تحليل الارتباطات .

(جـ) تحليل الأسس التنظيمية .

٥ – التركيب :

(أ) إنتاج اتصالات فريدة.

(ب) إنتاج خطة أو عمليات ، مثال ذلك القدرة على عرض طرق لاختيار فرض ما.

(جـ) اشتقاق علاقات مجردة.

٦ - التقويم :

أ - الحكم على أساس شواهد داخلية.

ب - الحكم على أساس شواهد خارجية.

ويلاحظ على نموذج بلوم كثرة التعريفات ، وعدم تحديد الفواصل بين تقسيماته الأمر الذى يحدث خلطا لدى المتعلم ، بل ويوقعه فى حيرة.

ثالثا : الخلفية التاريخية وراء بعض هذه النماذج :

إذا استعرضنا تاريخ التعليم عند الأمريكيين نجد أن الأهداف - إذا صيغت - كانت

تصاغ فقط من مفهوم السيطرة على مادة ما SubjectMastery وقد أدى النمو فى البراجماسية وعلم التربية Education إلى الإحساس بعدم الرضا عن النموذج الأكاديمى البحت فى التعليم وكانت النتيجة مجموعة من المجهودات لصياغة أهداف التعليم من وجهة نظر احتياجات المجتمع . ومن أمثلة ذلك " المبادئ الأساسية للتعليم الثانوى فى أمريكا " ومن نتائجه أنه قيل : " إن التعليم فى ظل الديمقراطية سواء داخل المدرسة أو خارجها يجب أن ينمى عند كل فرد المعرفة ، والاهتمامات ، والمبادئ ، والعادات ، والقوى التى يمكن أن تأخذ مكانه وأن تستخدم هذا المكان ليشكل نفسه والمجتمع وفق أهداف نبيلة . وفى ظل هذه الأهداف وضعت اللجنة المكلفة سبعة مبادئ أساسية اعتبرتها الأهداف الرئيسية للمدرسة الثانوية هى :

١ - الصحة . Health
٢ - السيطرة Command على العمليات الأساسية ، أو معرفتها.
٣ - المكانة المنزلية المحترمة Worthy home membership - العلاقات المنزلية الجيدة.
٤ - المهنة . Vocation
٥ - المواطنة . Citzenship
٦ - الاستخدام الجيد لوقت الفراغ.
٧ - الشخصية الأخلاقية.

وكما هو واضح فإن هذه الأنشطة والأهداف لم تصف أو تهتم بالسلوك الذى ينبغى أن يحدث لبلوغ هذه الأهداف.

ولقد قدمت هذه النواحى المختلفة فى شكل مواد دراسية – وقدمت مواد مثل الصحة ووقت الفراغ ، والحياة الرسمية ، والمنزل ، والأسرة ، وأصبحت هذه هى مصادر اشتقاق الأهداف فيما بعد.

وفى مجال أهداف التعليم الديمقراطى فى أمريكا فقد وضعت الأهداف تحت أربعة تصنيفات هى :

١ – هدف تحقيق الذات . ٢ – هدف العلاقات الإنسانية .
٣ – الكفاءة الاقتصادية . ٤ – المسئولية المدنية .

وقسم كل هدف من هذه الأهداف إلى أهداف فرعية مثال ذلك " العقل المستفسر أو المتسائل (وهو مظهر من مظاهر تحقيق الذات) واحترام الإنسانية (وهو مظهر من

مظاهر العلاقات الإنسانية) وهكذا . وطورت هذه الأهداف بعد ذلك فى محاولة لصياغتها إجرائيا مثال ذلك :

١ – كل الشباب يحتاج لمهارات التسويق (البيع) والاتجاهات والفهم التى تجعل كلا منهم شخصا منتجا ذكيا فى الحياة الاقتصادية.

٢ – كل الشباب يحتاج إلى تنمية الاحترام له وللآخرين فى جو من المحبة والقيم والمثل الأخلاقية ، وحتى يستطيع العيش والعمل مع الآخرين فى جو من التعاون.

٣ – كل الشباب يحتاج إلى أن ينمى قدرته على التفكير المنطقى وأن يعبر عن أفكاره بوضوح ، وأن يقرأ بفهم (كان ذلك سنة ١٩٥٢).

ثم جاءت بعدها محاولة صياغة الأهداف سلوكيا ووضعها فى مجموعات طبقا للعمليات التعليمية المطلوبة Learning Processes Required وكان المفهوم أنه مادام التعليم يهدف إلى تغير السلوك فيجب على الأهداف أن تحدد التغيير المطلوب ، وفى النهاية استقر الرأى على التصنيف الآتى :

١ - تنمية طرق فعالة للتفكير.

٢ - اكتساب المعلومات العامة المهمة للأفكار والمبادئ.

٣ - تنمية العادات والمهارات الفعالة للعمل.

٤ - تنمية الإحساس المتزايد بالمشكلات الاجتماعية وكذلك الخبرات الجمالية.

٥ - غرس الاتجاهات الاجتماعية بدلا من الاتجاهات الأنانية.

٦ - تنمية تقدير الأدب والفن والموسيقى.

٧ - تنمية مجموعة كبيرة من الاهتمامات الناضجة والجيدة.

٨ - زيادة التوافق الاجتماعى.

٩ - تحسين الصحة العامة.

١٠ - تكوين وإيضاح فلسفة للحياة.

رابعا - النموذج المقترح :

ليست التربية ترفا عقليا تتيح للمشتغلين بها أن يفكروا فيما يشاءون ، أو يعملوا عقولهم فيما لا يعود عليهم ، وعلى مجتمعهم بالفائدة ، وليست واجهة اجتماعية تضفى

obeikandl.com

على من يعمل بها تميزا طبقيا، أو استعلاء على من حوله، وليست صفقة تجارية تمكن صاحبها من استغلال الوسائل التى تعطيه فرصة الإثراء، والنفوذ بغض النظر عن القيم الإنسانية، وليست مدخلا لتنمية جانب فى النفس البشرية، وإهمال آخر، وليست معالجة محضة لما يجرى فى عالم المثل، بحيث لا تعرف للواقع سبيلا، وإنما هى عملية إنسانية يتعلم فيها الفرد، وتنمو شخصيته نموا متكاملا : جسميا وعقليا، وانفعاليا، واجتماعيا.

والتربية الإسلامية لها تميز خاص، من حيث كونها تتضمن معايير خلقية، وقيما سلوكية يمارسها الفرد فى حياته اليومية، يطبقها على نفسه قبل أن يطبقها على غيره، وعلى مجتمعه لأن مسئولية الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين؛ إنما هى من قبيل التربية الإنسانية والمسئولية الاجتماعية. ولعل الغاية من هذه التربية هى القدرة على فهم العالم المحيط بالمتعلم، والقوى المؤثرة فيه، وليست تزويد عقله بالمعلومات فقط. وليس من قبيل الصدفة أن ينزل القرآن الكريم على قلب الرسول الخاتم محمد (ﷺ)، وقد ركز على جانب التفرد فى الإنسان وهو جانب الإيمان باعتبار أنه المنطلق الأساسى لكل عمل، والباعث القوى لإنجاز أى مهمة، بل إن كل دولة من دول العالم تعزز هذا الجانب - مهما كان مستواه من الصحة والخطأ - وتغرسه فى نفوس النشء ، يقينا بجودة المنتج منه، والمكسب الكبير من العائد المتوقع منه.

وغرس الإيمان لدى الفرد عملية طويلة المدى، وليس وليد موقف واحد، كما أنه ليس مسئولية الأسرة فقط، أو المدرسة فقط، أو المسجد، أو الكنيسة فقط، أو جماعة الرفاق فقط أو غير ذلك، ومع أنه مسئولية كل طرف فى المجتمع، إلا أن مسئولية المدرسة إزاءه أكبر، لأنه - أى غرس الإيمان - يتكون من المفاهيم الأولية التى تقدمها المدرسة، باعتبار أنها المؤسسة التربوية الأولى المقصودة.

ومن منطلق دور المدرسة فى تنمية المواطن، فإن المنهج المدرسى بها يمكن أن يلجأ إلى نموذج أو أكثر، قريب أو بعيد، فى بناء الشخصية الوطنية.

وقبل عرض النموذج المقترح تجدر الإشارة إلى الاعتبارات الآتية :

١ - أن الحرص على العلم والتشديد على طلبه مبدأ تقرر فى الشريعة الإسلامية ، قال (ﷺ) " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ".

٢ - أن الهدف من العلم فى الإسلام هو العمل به ، وليس التشدق بإنجازاته ، قال (ﷺ) " تعلموا من العلم ما شئتم فوالله لا تؤجرون بجمع المال حتى تعملوا ".

٣ - أن الهدف من العمل ليس الحد الأدنى منه ، وإنما العمل الذى يبلغ درجة الإتقان" إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه".

٤ - أن الإفادة من أى خبرة مريبة - مهما كان مصدرها - أمر مقرر فى وجدان المسلم فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

٥ - أن وحدة الفرد الإنسانى أمر ثابت ، وليس كيانا مفككا ، يتعامل مع جزء منه دون الآخر.

٦ - أن البشر غالبا ما يحكمهم تاريخهم ، ولا أدل على ذلك أن تاريخ كل شعب أمر مقرر فى نظامه التعليمى . ومن لا تاريخ له يدرس تاريخ بعض الشعوب الأخرى . والعقيدة جزء من هذا التاريخ ، تتراءى للفرد من خلال كلمة ، أو إشارة ، أو موقف . تذكره تحميه وتدفعه إلى مزيد من الإيمان والعمل ، ولو لم يكن ذلك من كل الأفراد فعلى الأقل من عينة منهم . ولعل " خيبر " وهى رمز للعملية العسكرية الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧م الشهيرة ليست من فراغ ؛ وإنما إشارة إلى طرد اليهود من الجزيرة العربية . وبالمثل فإن " بدر " وهى رمز للعملية العسكرية المصرية فى حرب ١٩٧٣م ليست من فراغ ؛ وإنما إشارة إلى بشارة النصر. كما حدث فى غزوة بدر الكبرى . والكلمات الموحية أو الإشارات الموحية - وما أكثرها - نحن المسلمين فى حاجة إليها اليوم لتنشيط العقل العربى والإسلامى. والقوة الغاشمة لأمريكا التى لا يحكمها قانون القيم ، ولا مبادئ العدل الدولى ولا تستند إلى خلفية تاريخية حضارية - هى التى أطلقت شعار " العدالة المطلقة " فى حربها للإرهاب رغم ما تراجعت عنه بعد ذلك.

ويبدو شكل النموذج المقترح فى المستويات التالية :

يحفظ

يتذكر

يفهم

يعقل

يفعل

يتقن

يحسن

ويمكن عرض هذه المستويات بالتفصيل فيما يلى :

١ – يحفظ :

جاء فى المعجم الوسيط حفظ الشئ حفظا صانه وحرسه، ويقال: حفظ العلم والكلام ضبطه ووعاه ... واحتفظ بالكتاب ، بذل جهدا فى حفظه جزءا بعد جزء واحتفظ على الكتاب صانه ، واحتفظ فى قوله ورأيه قيده ولم يطلقه . وجاء فى القاموس المحيط حفظه: علمه أى حرسهؤء... والمحافظة المواظبة والحفظ قلة الفعلة . والحفظ عند علماء النفس: وظيفة من وظائف الذاكرة ، وهو ضبط الصور المدركة.

ومعنى هذا أن الفعل يحفظ يحمل الجانبين : العقلى والوجدانى ، وهما ضروريان فى عملية التعليم والتعلم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المعارج : ٣٤) ويروى عن الرسول (ﷺ)أنه قال: قيدوا العلم بالكتابة ، وأجاب (ﷺ) ، لما سأله رجل عما يفعله وهو لا يجيد الحفظ فقال : استعن بيمينك على حفظك (يعنى : الكتب والكتابة).

وجاء فى الأثر : العلم ما حوته الصدور لا ما احتوته السطور . ومن لم يحفظ النص فهو لص . وحفظ العهد عند الصوفية : هو الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده ، فلا يقف حيث ما أمر ، ولا يوجد حيث ما نهى.

والحفظ له وظيفة تربوية لا غنى فى التعليم ، وهو مظهر من مظاهر العملية التعليمية كالفهم ، والتحليل ، والاستنباط، والاستدلال ، وهذا ما يأخذ به الغربيون وبالذات الفرنسيون ، حيث يلخصون موضوعات الدروس فى أسطر ، يحفظها التلاميذ كما يحفظون منطوق النظرية ، أو جدول الضرب ، وغير ذلك مما يكون صفة معرفية من الأفكار الأساسية أو المفتاحية . ويأخذ الفرنسيون فى هذا المجال بمثل مصرى عامى يقول: **"الزكيبة الفاضية عمرها ما تقف" "أو الجوال الفارغ لا ينهض بنفسه واقفا"** لكن الذى حذر منه علماؤنا المسلمون كما يحذر الغربيون المعاصرون أن يقتصر التعليم على الحفظ الآلى وتنمية الذاكرة الآلية.

٢ – يتذكر :

الذكر للشئ حفظه وتذكره ، والذكر أيضا : الشئ يجرى على لسانه ... وتكون بمعنى التذكر كما فى قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥). والذكر والذكرى نقيضها النسيان . قال الفراء : الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته ، وفى المعجم الوسيط ذكر الشئ ذكرا، حفظه واستحضره ، وجرى على لسانه بعد نسيانه.

وبناء على المعنى المعجمى للتذكر ، فإنه يحقق شرطا من شروط التعليم المعرفى وفيه يحتفظ المتعلم بالمعلومات التى يستخدمها فى الذاكرة ثم يقوم بربط هذه المعلومات التى يصل إليها بشكل مستقل ، بما لديه من معلومات ، وما تم اكتسابها قبل ذلك . ويقصد بالتذكر استحضار المتعلم لشئ ما ، وجريانه على لسانه ، واستخدام ما يستحضره فى حل ما يواجهه من مواقف .. ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص : ٢٩).

٣ – يفهم :

جاء فى المعجم الوسيط : فهمه فهما : أحسن تصوره ، وجاء استعداده للاستنباط والفهم : حسن تصور المعنى ، وجودة استعداد الذهن للاستنباط ويقال: فهمت الشئ عقلته ، وعرفته.

ويقصد بالفهم حسن تصور المعنى ، وإضفاء شئ من خبرة المتعلم السابقة على ما فهمه. وأعلى درجات الفهم أن تعلم أن ما تصرح بفهمه ، لا يمكن أن يكون إلا كما فهمته ، وهو بهذا المعنى مرادف للعلم اليقينى . والفهم هو البداية الحقيقية لأى عملية تعلم ، ولأى مستوى من المستويات العقلية العليا : كالتحليل والتركيب ، والتذوق ، والاستنتاج ، والتقويم . وبدونه يجمد العقل ، وتتوقف عمليات الإبداع.

٤ – يعقل :

يقال: رجل عاقل أى الجامع لأمره ورأيه ، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه. وقيل العاقل : الذى يحبس نفسه ، ويردها عن هواها ، أخذا من قولهم اعتقل لسانه إذا حبس عن الكلام . وجاء فى المعجم الوسيط العقل ما يكون به التفكير والاستدلال ، وتركيب التصورات والاستدلالات والتصديقات ، والعقل ما يتميز به الحسن من القبح ، والخير من الشر، والحق من الباطل.

وجاء فى القاموس المحيط: العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين.

ويقصد بلفظ العقل : توجيه المتعلم ما فهم ، وما خبر لصالح قيمه ومعتقداته ويتضمن هذا الفعل موازنة الشئ قبل الإقدام عليه ، وتحكيم القيم والمعايير قبل الأخذ به ، مما يعنى تقويمه، وإصدار الحكم عليه . ومن سيطرة شاملة للعقل والانفعال والهوى ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ٢٤٢).

٥ – يفعل :

جاء فى لسان العرب ، الفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .. وهو يكون فى المدح والذم . وفى كلا الأمرين موقف للتعلم ، وخبره لمن وعى وعقل . وقصد باللفظ يفعل تحويل المتعلم ما عقله إلى واقع ملموس يفيد منه الفرد والجماعة ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل : ٥٠) ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (النساء : ٣٠).

والفعل بالمعنى العام يطلق على كون الشئ مؤثرا فى غيره . ومنه تأثير الخطيب فى الجمهور، وتأثير الطبيب فى المرضى كما يطلق الفعل أيضا على كل ما يقوم به الإنسان من أفعال إدارية ، أو غير إدارية.

٦ – يتقن :

الإتقان: الإحكام للأشياء، وفى التنزيل ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل: ٨٨) ورجل تقن وتقين متقن للأشياء حاذق ، ورجل تقن : حاضر المنطق والجواب . والإتقان هنا يعنى المهارية بشقيها : المهارة الحركية ، والمهارة العقلية.

ويقصد بلفظ يتقن : قيام المتعلم بأداء ما يسند إليه فى سرعة ودقة ، وله نسبة معينة تختلف باختلاف المواد الدراسية ، وباختلاف المتعلم ، كما هو وارد فى الخطاب التربوي.

٧ – يحسن :

الحسن ضد القبح ونقيضه ... وحسنت الشئ تحسينا أى زينته . وفى القاموس المحيط الحسن بالضم الجمال . وفى المعجم الوسيط أحسن الشئ ، أجاد صنعه ، وفى القرآن الكريم : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين : ٤) .. وحسن الشئ جعله حسنا ، زينه ورقاه وأحسن حالته.

ويقصد بلفظ يحسن : أن يخلع المتعلم على ما يقوم به : جودة وإتقانا ولمسات من الحسن والجمال . وهذا المستوى من الفعل يتطلب من الدارس - أيا كان - أن يكون متميزا فى حسنه ، كما هو متميز فى خلقه.

وفى ضوء ما سبق يمكن الخروج بما يلى :

١ - أن هذا النموذج اشتق من أفعال وردت فى القرآن الكريم ، ومعروف أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد . وهذه الأفعال تمثل إشارات ثقافية ، ورابطة قوية لقيم المجتمع تكتسب مع الأيام عمقا ورسوخا فى عقل المتعلم.

٢ - أن هذا النموذج يمثل - ضمن ما يمثل آدابا إسلامية تمثل حضارة هذا المجتمع.

٣ - أن هذا النموذج يستوعب القدرات العقلية والمظاهر الانفعالية والمهارية، لأن الأفعال يحفظ - يتذكر - يفهم - يعقل - يتقن - يحسن - تحمل مضامين عقلية وانفعالية ومهارية فى آن واحد.

٤ - أن هذا النموذج يجنب العملية التعليمية الشكل الآلى لصياغة الأهداف بوضعها الحالى والتى تسبب حيرة للمعلم من جهة تداخلها ، وعدم وضوحها.

٥ - أن هذا النموذج يتعامل مع المتعلم كوحدة واحدة ، من حيث إن لها ردود أفعال واحدة.

٦ - أن حدود الأفعال المقدمة ليست حاسمة . فمثلا قد يقف حفظ نص ما فى وقت ما عند حد معين ، لكنه قد ينطلق بعد حين استجابة لموقف جديد ، فليست هناك فكرة جديدة كل الجدة ، وإنما كوامن شئ محفوظ فى الصدر قد يلوح بفكرة لها وزنها .

٧ - أن معانى هذه الأفعال معان متنامية . فكل فعل ينتهى معناه يبدأ الآخر ، وعدم الحسم فى البداية والنهاية فى هذه الأفعال يتفق مع العملية التعليمية ، فليست هناك فواصل قاطعة بين صف وآخر أو بين مرحلة وأخرى.

٨ - أن هذا النموذج ليس نهائيا ، وإنما قابل للتغيير والتبديل ، إذا كان هناك ما يقتضى ذلك.

٩ - أن هذا النموذج يبعدنا عن التبعية لنماذج الآخرين الذين يختلفون عنا فى التاريخ والثقافة والحضارة ، كما يعد بداية الاستقلال والتميز . خاصة وأننا نعانى من التبعية التعليمية ويعيب علينا الكثيرون فى ذلك.

١٠ - أن هذا النموذج يتخطى حد التقويم الذى وقف عنده بلوم ، ويصل ، إلى حد التحسين . ومعروف أن التحسين يتطلب سمة من الجمال ، وجانبا من التزيين وهو عمل لا يتم إلا بعد توافر الإتقان ، وحب تجميل ما يقوم به الفرد المتعلم.

١١ - أن ممارسة هذا النموذج المقترح فى العملية التعليمية : يمكن أن يكون صمام أمان للفرد من المواد الإعلامية الأجنبية التى تلقى عليه ، وليست مناسبة له ، ويبعد مشاعر العجز عن المتعلم.

١٢ - أن هذا البديل يتعامل مع طالب كلية التربية ، وهو المعلم فيما بعد - وهو الذى يتولى زمام القيادة والتوجيه لطلابه . وحين تصبح هذه الأفعال أمام عينة دراسة وتدريسا تكون الفائدة أكثر لهؤلاء الطلاب.

١٣ - أن هذا البديل يعرض أمام تقسيم بلوم ، وهو تقسيم ممارس فى تعليمنا منذ خمسينيات القرن الماضى ، ومعروف سلفا مدى الإعراض الذى يلقاه التقسيم الجديد بل مدى التحدى الذى يواجهه فى إثبات وجوده وممارسته.

١٤ - أن هذا النموذج قد يلفت نظر بعض المدرسين الذين يقفون فى تعاملهم مع القرآن الكريم على الحفظ ، والفهم إلى أن يتعدوا ذلك إلى أن هذا القرآن باعث للفكر وسبب للتأمل فى كل مظاهر الحياة ، ومصدر إمعان للقبول أو الرفض لأى اتجاه مخالف وعامل توازن بين الدنيا والآخرة.

١٥ - أن هذه الأفعال تثير الإيحاء لدى المتلقى . والإيحاء فى اللغة : الإشارة، والكلام الخفى وكل ما ألقيته إلى غيرك . وهو اسم يدل على ما يحدث فى الذهن من فكر، أو تصور بتأثير عامل خارجى . فلا إيحاء إذن إلا إذا أثار شخص ، بكلامه أو فعله فى ذهن شخص آخر ، فكرة تؤثر فى نفسه وتبدل مشاعره وسلوكه . ولولا هذه الفكرة التى جئ بها إليه من خارج لما تبدل مجرى تصوراته ، ولا تغير سياق فعله.

وإذا كان من وظيفة التعليم ترسيخ عقائد الشعوب ، فإن هذه الإشارات التى يستخدمها المعلم أمام التلميذ ، ربما تكون سببا فى ذلك ، على المدى القريب والبعيد وترسيخ عقيدة الإسلام ضرورة قدسية ، ولسنا بدعا فى ذلك بين الشعوب.